

شیءُ من البشایخ

حلف ترکیا۔ العراق

بقلم محمد زکی عبدالقادر

المكتبة الإلكترونية العراقية

شیء بن البشاریح

حلف ترکیا - العراق

بقلم محمد زکی عبدالقادر

المكتبة الإلكترونية العراقية

المكتبة الإلكترونية العراقية

حلف تركيا - العراق

علاقة تركيا بالعرب علاقة قديمة . ففي مدى أكثر من ثلاثة قرون كانت البلاد العربية داخلة في نطاق الامبراطورية العثمانية تدين لها بالولاء ، بحسبان الخليفة الجالس في اسطنبول خليفة للمسلمين فلم تكن الرابطة بين العرب وبين الدولة العثمانية رابطة سياسية فحسب ، ولكنها كانت رابطة دينية أيضا .

ثم دب الفساد في قصور السلاطين واتسم حكمهم بالرشوة والاستبداد وضيق الافق ونمت في العاصمة التركية وبين القادة الاتراك نزعة ترمى الى تحقير العرب والنظر اليهم كأنهم جنس أدنى . ولم يصبح لهم نصيب يذكر في حكم بلادهم ، ولا في وظائف الحكومة المركزية في استنبول وتعرضوا في كل مكان للاضطهاد والظلم والفوضى .

ونشأت بين العرب حركة مضادة للتخلص من الحكم العثماني ونمت في نفوسهم فكرة الاستقلال عن الدولة العثمانية وانشاء كيان خاص لهم ، ونشبت الحرب العالمية الاولى فانتهزها زعماء العرب وقاموا بثورتهم على الحكم التركي والتجأوا الى دول الحلفاء

وعلى رأسهم انجلترا فوعدت بمساعدتهم على التخلص من الحكم التركي اذا انجازوا الى جانبها .

وانتهت الحرب العالمية الاولى بهزيمة تركيا والقضاء على امبراطوريتها . وقامت بعد ذلك حركة كمال أتاتورك وجعلت من أهدافها ابعاد تركيا عن العرب وعن كل جنس آخر غير تركي ، والاتجاه الى الغرب . وزاد أتاتورك فهاجم الدين الاسلامي ، وطارد رجاله ، وقرر أن يجعل الدولة علمانية . وألغى الطربوش وفرض ارتداء القبعة ، وقال ان سياسة بلاده لن تتجه بعد الآن نحو الشرق . ولكنها ستجعل وجهتها الغرب .

وانقطعت الصلات أو كادت بين تركيا والدول العربية . بل لعل شيئا من الجفاء بين الفريقين أصبح هو الغالب . وفي الوقت نفسه ، أخذت البلاد العربية تنهض نهضة شاملة وتطالب باستقلالها وتعمل على التخلص من النفوذ الغربي شيئا فشيئا . وشملت نهضة اقتصادية واجتماعية ، وزاد التكتل بينها بانشاء الجامعة العربية . وبعد أن كانت تركيا تنتحل صفة الزعامة في هذه المنطقة مدى ثلاثة قرون أو أربعة وضح أن هذه الزعامة تنتقل منها الى الكتلة العربية التي تزيد عليها ثروة واتحادا ، وسكانا ، وامكانيات .

ووضح أن تركيا أخذت تضيق بهذا الوضع . وكان أن بالغت في اتجاهها الى الغرب واعتمادها عليه ، طمعا في أن تحصل منه

على مقومات عسكرية واقتصادية تجبر ضعفها وتزيد من مكانتها
كى تستطيع انتزاع الزعامة من الدول العربية .

احياء لمشروع قديم

وفى سنة ١٩٥١ تقدمت الدول الثلاث الكبرى أمريكا وانجلترا
وفرنسا ومعها تركيا بمشروع لانشاء مؤسسة دفاعية عن الشرق
الايوسط - الى الدول العربية رجاء ان تشترك فيها . ولم تتردد
هذه الدول فى رفضه ، لانها لمحت انه ينطوى على اهدار لاستقلالها
وكيانها ، ويربطها باحلاف خارجة عن منطقة الجامعة العربية
ومعنى ذلك انه يجعلها مرة اخرى تابعا للدول الكبرى ولتركيا .

وكان مجرد وجود تركيا فى هذه المنظمة دافعا الى نفور
شديد بين الدول والشعوب العربية ، لانه احيا فى خواطرها التاريخ
القديم للامبراطورية التركية وما قاساه العرب من سوء السياسة
التركية ومن الشعور بأنهم جنس أضعف وأدنى .

وشعرت تركيا باللزمة الشديدة التى وجهتها اليها الدول
العربية ، وزاد حنقها عليها . ولما جرت المباحثات فى سنة
١٩٥١ لحل مشكلة قنال السويس تدخلت تركيا ، واعترضت
على سحب القوات البريطانية من مصر ، زاعمة ان هذا العمل
سيكشف ظهرها ، ويعرض امنها للخطر .

وحفظها المصريون وسائر العرب للدولة التى يظهر ان مركب

المكتبة الإلكترونية العراقية

النقص يسيطر عليها كلما كان الامر متعلقا بتفوق الدول العربية وحصولها على استقلالها ، فقد كان - ولا يزال - مما يغيظها أن تصبح هذه الدول التي كانت تابعة لها يوما من الايام في مركز أقوى وافضل منها بكثير .

وحتت مشكلة القناة بتوقيع اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا في أكتوبر سنة ١٩٥٤ . ومما لا شك فيه ان اصرار البريطانيين على اعتبار العدوان على تركيا سببا يتيح للقوات البريطانية العودة الى قاعدة القناة جاء بايعاز من تركيا ، رغبة منها في اثبات وجودها ، وانها عامل مهم بل اكثر أهمية من الدول العربية .

واذا كانت مصر قد قبلت هذا الشرط فقد فعلت ذلك دون الارتباط بأى موقف معين له ، أو بأى حلف خارج عن المنطقة التي جعلتها قاعدة سياستها ، ونعنى بها منطقة الجامعة العربية . واخذ الاتراك ، وقد استعصت عليهم الجبهة العربية ، يحاولون النفوذ اليها من الابواب الخلفية فبدأوا يعربون عن عواطفهم الطيبة نحو البلاد العربية ، ويظهرون بمظهر الدولة المغتربة بما حققته هذه البلاد من استقلال وتحرر ، وبدأوا بالعراق لانها الدولة العربية الاقرب اليهم والمرتبطة معهم بميثاق « سعد اباد » . وزار وفد صحفى تركى مصر فلقى ترحابا وديا ، واطنبت الصحافة المصرية في ذكر العلاقات التقليدية بين تركيا والعرب ، وقالت ان الاسباب التي كانت تحول دون ازدهار هذه العلاقات قد زالت تماما ، وان كل السبل ممهدة لقيام صداقة وطيدة تستمد من

التاريخ القديم أصلها وتزكو في الظروف الجديدة التى جعلت من تركيا والدول العربية اندادا ليس بينها سيد ومسود .

وصرح الرجال الرسميون بما يؤكد هذه الصداقة بين مصر وتركيا ، وزاد الرئيس جمال عبد الناصر فكتب مقدمة كتاب عن تركيا اشاد فيها بالصفات الطيبة التى يتمتع بها الشعب التركى وبالعواطف الجميلة التى يشعر بها الشعب المصرى نحو الاتراك . وتبودلت الخطب بين المصريين والاتراك فى مناسبة الحفلات التى اقيمت تكريما للبعثة ، وكلها تفيض بأحسن الآمال وأطيب التمنيات .

المكتبة الإلكترونية العراقية صداقة انداد

وكان واضحا ان مصر اذ تشير الى علاقات الصداقة بتركيا انها تقصد العلاقات القائمة على التعاون الاقتصادى والسياسى فى مجال الامم المتحدة وغيرها من المنظمات التى تربط دول العالم . ولم يكن يدور بخاطر أحد أن تشترك تركيا على أية صورة من صور الاشتراك فى الدفاع العسكرى عن منطقة الشرق العربى ، فقد كان مفهوما للضيوف الاتراك وللصحافة التركية وللأساسة الاتراك ان كيان الجامعة العربية قائم على قصر الدفاع عن الدول العربية على هذه الدول وحدها ممثلة فى ميثاق الضمان الجماعى ، ولم تكن هذه سياسة مصر وحدها ، ولكنها كانت سياسة الدولة العربية كلها . ولم تمض على هذه الزيارة سوى اسابيع حتى اذيع حوالى منتصف شهر يناير سنة ١٩٥٥ بيان مشترك فى انقرة وبغداد

يعلن ان كلا من تركيا والعراق قد اتفقتا على عقد حلف للتعاون
العسكري بينهما .

المكتبة الإلكترونية العراقية

وكان الامر مفاجأة قاسية للدول والشعوب العربية التي لم
تكن تعرف شيئا عن المباحثات التي أجريت بين السيد نوري
السعيد رئيس الوزارة العراقية وبين السيد عدنان مندريس رئيس
الوزارة التركية وأدت الى اذاعة البيان المشترك الذي أشرنا اليه .
وأحست الدول العربية أن شيئا يدبر من وراء ظهرها ، وأن
هذا الحلف — اذا تم — كان خروجاً صريحاً على ميثاق الجامعة
العربية وهدماً لسياستها التي اختطتها للدفاع عن الدول العربية
ممثلة في ميثاق الضمان الجماعي دون الارتباط بأحلاف اودول
خارجة عن هذا النطاق . وبدا أن المشروع القديم بإنشاء منظمة
للدفاع عن الشرق الاوسط تشترك فيها الدول العربية وتركيا
وانجلترا وفرنسا وأمريكا يبعث من جديد على صورة أخرى ،
وهو المشروع الذي أجمعت الدول العربية من قبل على رفضه .
وأعلنت مصر رأيها الصريح في حلف تركيا العراق بلسان الصاغ
صلاح سالم وزير الارشاد القومي ، وخلاصته أن هذا الحلف
خروج على ميثاق الجامعة والضمان الجماعي ، وإقحام لدولة عربية
عن العالم العربي وربط لهذا العالم بأحلاف خارجة عنه ،
وهو ما يناقض السياسة التي اجمع عليها أعضاء الجامعة العربية .
وكانت مصر في هذا الموقف منطقية مع نفسها ومع سياستها
وسياسة الدول العربية والجامعة العربية ، وسرعان ما استجابت

الشعوب العربية لهذا النداء واشتعلت فيها رغبة قوية بالوقوف
ضد الحلف المقترح .

ولم تشأ مصر الانفراد بخطة معينة ، فدعت رؤساء الوزارات
العربية الى اجتماع عاجل عقد في القاهرة في النصف الثاني من
شهر يناير سنة ١٩٥٥ ، واعتذر عن حضوره السيد
نورى السعيد فسأعد هذا الاعتذار على ذیوع الاعتقاد بأن حكومة
العراق أو أن نوری السعيد بالذات لا ينوی الرجوع عن الخطة
التي ارتضاها بالاتفاق مع تركيا .

المكتبة الإلكترونية العراقية الدول الكبرى والحلف

ومما ساعد على وضوح الموقف ان كلا من امريكا وانجلترا
أيدت الحلف الجديد، ورأت ان تركه مفتوحا لانضمام دول جديدة
اليه مما يساعد على توثيق سلسلة الدفاع ضد الخطر الشيوعي .
وأشارت بعض الصحف الى أن ايران وباكستان ستانضمان اليه ،
وأن بعض الدول العربية كذلك تنوى الانضمام اليه ، وأعربت عن
دهشتها من موقف المعارضين له .

وهكذا تبلورت في الافق كل عناصر المنظمة الدفاعية عن الشرق
الايوسط التي قدم مشروعها في سنة ١٩٥١ ، وأصبح جليا أن
الدول الكبرى المسيطرة على حلف الاطلنطي تريد بالتسرب الى
العالم العربي من طريق العراق الوصول الى تحقيق المشروع
القديم أو تفتيت الجامعة العربية ، وكلاهما مطلب يستحيل على

الشعوب العربية ان تقره . فأولهما قضاء على ميثاق الضمان الجماعى وجر للدول العربية الى أحلاف خارجية ، وثانيهما اهدار للكيان العربى وعودة به الى ما كان عليه : كل دولة فى واد ، وكل شعب مرتبط بعجلة نفوذ أجنبى يمص دمه ، ويفض من حيويته ، ويهون من قيمته ، ويحول دون تقدمه ونهوضه .

وعقد المؤتمر المشار اليه فى القاهرة ، وبسطة مصر وجهة نظرها واشترك رؤساء الوزارات الذين حضروا الاجتماع فى بحث الموضوع وابداء وجهة النظر فيه . واهتمت الصحافة فى كل العواصم العربية بالموضوع وأيدت بصفة عامة وجهة النظر المصرية فى البعد عن الاحلاف والاقتصار على ميثاق الضمان الجماعى .

وأخذت الانباء ترد من عاصمة العراق تارة برغبة السيد نورى السعيد فى تأجيل اجتماع المؤتمر ريثما يشفى ، وتارة بأنه سيرسل مندوبين عنه ، وينتهى الامر بارسال بعض ساسة العراق لكى يوضحوا وجهة النظر العراقية . وكان أن شهدوا الاجتماع واستمعوا الى آراء زملائهم وافضوا هم بأرائهم .

مؤتمر القاهرة

وكان واضحا ان حكومة العراق ليست مستعدة للعدول عن لخطتها ، وانها تعتذر من ذلك بأن لها ظروفًا خاصة ، فالاكراد على حدودها يؤلفون مجتمعا ليس منسجما مع بقية العراق ، وهم واقعون تحت تأثير الدعايات الشيوعية . ثم ان افتراق الشعب

الى مذهبى الشيعة والسنة ووجود ايران ملاصقة لحدود العراق وقرب روسيا منه - كل أولئك يجعله عرضة للخطر أكثر من أية دولة عربية أخرى . ثم أن تجاوز الحدود بين العراق وتركيا يجعل من حسن السياسة والضمان السلامة التامة ان تتوطد العلاقات بين البلدين ، وان يشتركا في دفع الخطر الذى يهددهما معا .

وابدى المندوبون العراقيون حجة اخرى خلاصتها ان ميثاق الضمان الجماعى ليس كافيا لتامين سلامة المنطقة ، لانه لم يخرج بعد الى حيز التنفيذ ، ولان قوة الدول العربية فى مجموعها ليست مما يكفى لتامين سلامة هذه الدول فى وجه هجوم سوفيتى او غير سوفيتى .

المكتبة الإلكترونية العراقية

ولا ننكر ان للعراق وضعاً خاصاً ، ولكن كان من مقتضى الشعور بضعف الميثاق العربى ان يسعى العراق الى تقويته لا الى العدول عنه ، وكان من مقتضى الشعور بضعف الدول العربية من الناحية العسكرية ان يسعى الى تقويتها وليس الى ادخال عنصر غريب يتولى الدفاع عنها ، فليس لهذا من معنى سوى استمرار التبعية القديمة لتركيا وغيرها من الدول .

ولماذا هذا الظن الثابت : ان العرب ليسوا اقوياء ، ولماذا هذا الظن الثابت ايضا ان غيرنا اقوياء ؟ . لقد كان العرب فيما مضى اقوياء ، فالضعف طارىء عليهم ، وقد اخذوا يتخلصون منه ويشوبون الى رشد سياسى وعسكرى واقتصادى كان لهم فيما مضى . يلوح لى ان مركبات النقص لا تزال تحمل البعض منا على الايمان بكل ما

هو غربي والشك في كل ما هو شرقي ومن واجبتنا أن نتخلص منها بدفع الثقة الى الصدور وخلقها ان لم تكن موجودة .

ثم لنفرض ان العراق أكثر تعرضا للخطر من سائر الدول العربية ، ولنفرض أنه تعرض فعلا لهجوم شيوعي . أليس من مصلحة انجلترا وأمريكا وسائر الدول الديموقراطية أن تنهض لمساعدته حينئذ على رد العدوان ؟ أليس من المؤكد أنها اذن ستفعل ذلك لا دفاعا عن العراق ولكن دفاعا عن نفسها ؟ كما أن الدول العربية ستشارك في هذه المعركة حتما .. لماذا اذن نعقد الاحلاف ، ولماذا نتشبت بها اذا كان الواقع المؤكديغنى عنها ؟

السلام والحرب

ولا بد من التفريق بين حالتين : حالة السلام وحالة الحرب . وقد فرغنا من حالة الحرب وبيننا أنه سواء أوجدت أحلاف أم لم توجد فان الحرب ستملى ضروراتها على كل مشترك فيها وسرعان ما تنحاز كل دولة الى المعسكر المناسب لها تنفيذا لحلف أو جريا وراء مصلحة خاصة ، فاللهم هو حالة السلام . ووجود حلف معين خارج عن ميثاق الجامعة العربية سيملى قطعاً على المشترك فيه سياسة معينة قد تكون ضد حرية الشعوب وقد تكون ضد مصلحة الدول العربية الراغبة في التحرر من آثار الاستعمار الباقية . وقد تكون باتخاذ مواقف تعجل بالحرب العالمية دون مقتض .

المكتبة الإلكترونية العراقية

فعلى أى جانب بحثت سياسة الاحلاف خارج نطاق الجامعة العربية ، تبين انها ليست فى مصلحة الديموقراطية وليست فى مصلحة الدول العربية كمجموعة ، وليست فى مصلحة حرية الشعوب الصغيرة ، وليست فى مصلحة الدول التى تعقدها ذاتها.

والحلف قيد يرد على حرية التصرف . ولماذا يقيد الانسان نفسه دون مصلحة ظاهرة أو غير ظاهرة ؟ ولو اتجهت الدول العربية الى سياسة الاحلاف لانتهى أمرها بأن تصبح تابعا لقيمة له أما سياسة الاعتزاز بالشخصية ، والحرص على الاحتفاظ بالاستقلال فى التصرف طبقا لما تمليه مصلحة الدول العربية ومصلحة السلام والديموقراطية فهى السياسة التى تجعل للدول العربية قيمة ، وتجعل لرأيها وزنا لا عند الدول الكبرى الغربية فحسب ولكن فى مجتمعات الدول بصفة عامة .

وأما الهند وقد اختطت لنفسها سياسة مستقلة فازدادت قيمتها واصبحت آراؤها ذات اعتبار فى المحيط الدولى ، وليس لاحد ان يلومها . او يوجه النقد اليها ، فانها بذلك تخدم السلام والحرية والديموقراطية أضعاف ما تخدمها الاحلاف التى لاتفيد الا فى زيادة التوتر الدولى ودفع العالم الى الحرب .

ثم أن المثل السائدة فى الدول العربية مثل ديمقراطية لا شك فيها تغذيها تمايلد عريقة وعقائد دينية ثابتة ، فاتجاهها المحتم معروف . ولا تكاد تلمح فائدة للدول الكبرى فى محاولة ربطها

المكتبة الإلكترونية العراقية

بأحلاف أيا كانت ، وان من سياسة هذه الدول نفسها من ينادي
بضرورة ترك الحرية للعرب يدبرون أمورهم كما يشاءون ، وينظمون
الدفاع عن بلادهم بالاسلوب الذى يروق لهم وهم بعد ذلك أنصار
أقوياء بالاختيار وليسوا حلفاء لا قيمة لهم بالاجبار . وقد كشفت
حوادث الحربين العالميتين الاولى والثانية عن حقيقة لا سبيل الى
الشك فيها هى ان العرب بطبيعتهم أميل الى الديموقراطية وأشد
حرصا على الدفاع منها .

اسرائيل وراء الحلف

ثم ان هناك اسرائيل وهى عدو خطير للعرب . وقد رحبت بحلف
تركيا - العراق ، وهى على استعداد للترحيب بكل خطوة تضعف
الجامعة العربية ، لان أضعافها هو الامل الوحيد لها كى تبقى وتعيش
وتزدهر وتعتد صلحا مع الدول العربية واحدة بعد الاخرى . .
لماذا ننسى هذا الخطر ، ولماذا نقبل أن نحجب عن أعيننا اعتبارات
محلية أو غير محلية مع انه خطر ينبغى التضحية بكل اعتبار من
أجله ، لانه خطر شامل داهم لن يقضى على استقلال الدول العربية
فحسب ، بل أنه سيقضى ايضا على كيانهم وثروتهم ورخائهم
ويجعلهم عبيدا أو ما يشبه العبيد من أجل الصهيونية ومطامعها
فى التوسع والانتشار عبر الحدود العربية من الدجلة الى أرض

النيل . **المكتبة الإلكترونية العراقية**

واجب تركيا

أما تركيا فمن الخير لها أن تدرك عمق التطور الذي تحقق في البلاد العربية ، وأن تعدل عن ظنونها ووراثاتها القديمة ، وأن توفق أن العودة الى بسط النفوذ على الشعوب العربية أصبح مستحيلا ومن الخير لها اذا كانت تريد أن تكون عضوا نافعا محبوبا في هذه المنطقة أن تتخلى عن سياسة الاحلاف فيها . واذا كانت مصالحها الخاصة قد حملتها على الارتباط بحلف البلقان وحلف الاطلنطي فان الدول العربية ليست لها مصلحة على الاطلاق في الارتباط معها أو الارتباط بما ارتبطت به من أحلاف .

واذا كانت قد رضيت لنفسها أن تكون حيث أرادت فان الدول العربية تؤثر الاحتفاظ لنفسها بحريتها واستقلالها كاملين وقد رحبت هذه الدول بالصدقة التركية وأرادت نسيان الماضي الطويل المظلم الذي كان بينها وبين تركيا ، آملة أن تفتح صفحة جديدة من التعاون المخلص بين أنداد وليس بين أتباع .

فهلا استمعت الى صوت المنطق والواقع ، وهلا عدلت عن دس نفسها بين دول قررت فيما بينها ألا تدس نفسها في أجناس قريبة عنها ، وأن تحل مشاكلها وحدها وان كانت في الوقت نفسه تمد يدها مخلصه لكل دولة من دول العالم ، راجية أن تتعاون مع الجميع لما فيه خير السلام والحرية والديمقراطية .

المكتبة الإلكترونية العراقية

المكتبة الإلكترونية العراقية

